الهوية الملتبسة في رواية "قناع بلون السماء" للكاتب باسم خندقجي

زكية مجدوب
طالبة في سلك الدكتوراه
جامعة سيدي محمد بن عبد الله ظهر المهراز فاس
المغرب

ملخص:

تتناول هذه الورقة العلمية تحليل الخطاب الروائي من خلال رواية" قناع بلون السماء" للكاتب باسم خندجقي باعتبارها خير تمثيل لتيار الرواية ما بعد الكولونيالية، اعتمدنا فيها على آليات النقد الثقافي ومصطلحاته الإجرائية (الهوية، الأنا والآخر، الرواية الرواية ما بعد الكولونيالية)، تتوخى هذه الدراسة مقاربة الطابع الحداثي في الرواية ما بعد الكولونيالية وما تتميز به من مقاومة ومناهضة للواقع المرير للمستعمر الصهيوني للأراضي الفلسطينية.

كلمات مفتاحية: الهوية، الأنا والآخر، الرواية، ما بعد الكولينانية.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

مجدوب، زكية. (2024، دجنبر). الهوية الملتبسة في رواية "قناع بلون السماء" للكاتب باسم خندقجي. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 9 (الجزء 2)، السنة الأولى، ص 270-280.

Abstract:

This research paper analyzes the narrative discourse through the novel "A Mask the Color of the Sky" by Bassam Khandaqji, considering it a prime example of post-colonial fiction. The study employs cultural criticism tools and its operational terms (identity, self and other, post-colonial narrative) to examine the modernist characteristics of post-colonial novels and their resistance to the harsh reality of the Zionist colonization of Palestinian lands.

Keywords : identity, self and other, novel, post-colonialism.

مقدمة

احتلت رواية "قناع بلون السماء" للكاتب الفلسطني باسم خندقي المرتبة الأولى في الجائزة العالمية للرواية العربية البوكر سنة 2024، وصنفت ضمن أدب السجون، فقد أسير المناضل مرات عديدة بل حكم عليه بقضاء بقيت حياته في سجن الكيان الصهيوني، لمقاومته الدائمة له، فلم يزده ذلك إلا إصرارا ومقاومة ، هذه المرة اتخذ من التخيل والسرد سلاحه الوحيد بين جدران زنزانته اللعينة لتعبير عن قضيته الفلسطنية بطريقة أدبية فنية ممتعة ، من خلال روايته "قناع بلون السماء"، يحكى الكاتب عن قصة عائلة فلسطنية وما عاشته من معاناة وأسر من العدو الإسرائيلي الذي يضع سطوه وجبروته على مخيم الفلسطنين تأتي رواية « قناع بلون السماء» كتتمة لنصوصه السابقة: «مسك الكفاية»، «خسوف بدر الدين»،« أنفاس امرأة مخذولة»، و«عزلة النرجس» نحاول من خلال هذه الورقة العلمية الإجابة عن الأسئلة التالية:

- كيف صور الكاتب حال المستوطنين الفلسطنيين في بلادهم المغتصبة؟ -
- كيف تشكل سؤال هوية نور الملتبسة بهوية الآخر الصهيوني؟
- ما الوسائل الفنية والتقنية التي وظفها الكاتب لنسج روايته قناع بلون السماء؟

1- لمحة عن الهوية والسرد الروائي ما بعد الكولونيالية:

يعد السرد محورا يدور حوله وجود الإنسان بتمظهرات متداولة عن الهوية المعرفية والتي تمنح الذات تأصيلا في النص السردي، لذلك" فإن الهوية بما هي نتاج تاريخي ومكون له منحوتة كما لو كانت ذاتها، والآخر الذي يمثل أمامنا، إن الذات منذ الأمد مسكونة بالغيرية... مما يحملنا على القول أن الحياة سرد أو هي للسرد، فلا تتحقق الهوية إلا بالتأليف السردي"[1]، كما يعمل السرد على سرد هوية الأنا من جهة، وعلى سرد هوية الآخر من جهة ثانية في العالم الروائي، ليكون هذا الأخير أنسب جنس أدبي لتمثيل الهوية والاختلاف أو ما يسمى بالغيرية،

لقد أبانت الرواية أنها القادرة على تحمل مسؤولية ضم جل التعابير التي يطمح الإنسان بعامة والعربي خاصة، أن يناقشها داخلها، بل الأكثر من ذلك فهي تفتح أبواب صدرها لمجموع من الإشكالات بوصفها الوعاء الذي يضم كل الأحاسيس والتعابير والأشكال، لعل من أبرزها ما يتعلق بسؤال الهوية والصراع القائم بين الأنا والآخر، والرواية العربية منذ نشأتها اهتمت بتسليط

[1]- بول ريكور: الهوية والسرد: تر حاتم الورفلي، دار التنوير، بيروت، لبنان، ، 2009 ، ص35

الضوء على إشكالية الهوية في مواجهتها مع الآخر، ومن بين الروايات التي عالجت مسألة الهوية أوعلاقة الأنا بالآخر، نجد منها على سبيل التمثيل لا الحصر: (وي. إذن لست بإفرنجي) لخليل خوري و(عصفور من الشرق) لتوفيق الحكيم، والحي اللاتيني ليوسف إدريس، (موسم الهجرة إلى الشمال) للكاتب السوداني الطيب صالح، وروايتا (الأشجار واغتيال مرزوق) (أرض السواد) لعبد الرحمان منيف، ثم رواية (كتاب الأمير) لواسيني الأعرج، رواية (دفنا الماضي) لعبد الكريم غلاب.

للسرد ارتباط وثيق بالهوية ربط بينهما (بول ريكور) بما يسميه بالهوية السردية التي لا تتحقق إلا بالسرد، حين أكد أنه: " لا ريب أن إشكالية التماسك والبقاء، أو بعبارة وجيزة إشكالية الهوية توجد هناك (في السرد)، وقد ارتفعت إلى مستوى جديد من الوضوح، ..إذ يؤلف السرد الخواص الدائمة لشخصية ما"[1]، فالسرد له علاقة مباشرة بماهية الذات وهويتها، وكذا وجود الآخر الذي يمثل مرآة عاكسة لصورة الأنا من خلال فعل السرد الذي يعد" تمثيل لعالم ممكن بوسيلة لغوية ورؤى بصرية، وفي مركزه هناك بطل أو عدة أبطال بطبيعة إنسانية مثبتون وجوديا بإدراك زماني ومكاني، والذين يؤدون غالبا أفعال ذات أهداف مباشرة تركيب الفعل والحبكة، ويسمح للقراء بأن ينغمسوا في عالم مختلف وفي حياة الأبطال"[2].

كما أن إشكال الصراع بين الأنا والآخر، اعتبر أرضية خصبة لطرح سؤال الهوية المقلق ما بعد الكولونيالية، فساهم السرد في إيصال رسائل إلى المتلقي، لأنه يستوعب الطرفين الأنا والآخر وعليه فكل سرد روائي يتضمن أنا وآخر، سواء كان السارد أنا وآخر أو كان السارد افتراضيا آخر كامنا خارج هذين القطبين، فالتماس هو الذي يمنح السرد وجوده، ويجعله سردا، سواء كان هذا التماس توافقيا في وحده الأقصى...أو كان تماسا تنافريا عبر مختلف أشكال الحروب وعمليات الخصومة والقتل والعداء وما إلى ذلك"[3].

تحضر ثنائية الأنا والآخر باعتبار أن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، فهو لا يستطيع أن يعيش دون علاقة تربطه بالآخر مهمى كان نوع هذه العلاقة، توافق أو صراع، فالحديث عن "الأنا" يستدعي الحديث عن الآخر، تتبدل مواقف الأنا من الآخر. أو الآخر من الأنا بحسب العلاقات القائمة بينهما، هذا التصور: "هو عبارة عن مركب من السمات الاجتماعية والنفسية والفكرية

[1] - بول ريكور، الوجود والزمن والسرد، تر سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1999، ص 29

[2] - مونيكا فلودرنك، مدخل إلى عالم السرد، تر باسم صالح حميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص12

[3] - صلاح صالح، سرد الآخر، (الأنا والآخر عبر اللغة السردية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2003، ص54

والسلوكية، التي ينسبها فرد ما إلى الآخرين"[1] ، كما أن هذا الآخر ما هو إلا " المختلف في الجنس أو الانتماء الديني أو الفكري أو العرقي، "[2]، في مقابله نجد الأنا التي تعتبر من منظور فلسفي أنها:" الإشارة إلى النفس المدركة، أما في الفلسفة الحديثة تشير كلمة أنا في معناها النفسي والأخلاقي إلى الشعور الفردي الواقعي وإلى ما يهتم به الفرد من أفعال معتادة ينسبها إلى نفسه الشخص المفكر"[3]، إن الآخر :" في أكثر معانيه شيوعا شخصا أخرا أو مجموعة مغايرة من البشر ذات هوية موحدة، وبالمقارنة مع الشخص أو المجموعة نستطيع تحديد اختلافي عنها، وفي مثل هذه الضدية ينطوي هذا التحديد على التقليل من قيمة الآخر، وإعلاء قيمة الذات أو الهوية ويشيع مثل هذا الطرح في تقابل الثقافات خاصة وهذا ما يسود الخطاب الاستعماري"[4]، فالآخر يحمل دلالة مغايرة للذات بحيث يمكن أن يكون ذاتا أخرى أو جماعة أو ثقافة أخرى. كما يمكن أن يعد الآخر وانقساما وانفصالا عن الذات، فهو ليس موضوعا لواقعه فحسب أو مجرد نموذج " وكل شخص هو آخر بالنسبة لأي شخص على وجه الأرض"[5]

2 - تمثل سؤال الهوية وثنائية الأنا والآخر في رو اية "قناع بلون السماء"

تُحيلنا رواية "قناع بلون السماء" للكاتب الشاب باسم إلى الدواخل النفسية للشخصيات التي اختارها الكاتب لنقل صورة المأساة التي تعترض الفلسطنين، جاعلا من شخصية نور الفلسطينية مركز حكايته، وهويته الملتبسة مركزا على سرد ذكريات حياته الأليمة، أمه التي فارقت الحياة منذ ولادته وأبيه رمز النضال والمقاومة ضد العدو الغاصب الذي اعتقل مرارا في السجون الإسرائيلية وذاق مرارته وعذابه، وما تعرّض له من أهوال ونكبات، جعلته لاجئاً مع عائلته في مخيم في رام الله لا يحمل اسماً بعد". استغل درب آلامه الاعتقالية، ليحيلها إلى درب معرفة وثقافة تؤدي به إلى الحرية، جريته الداخلية على الأقل"[6].

---

[1] - فتحي أبو عينين، صورة الذات وصورة الأخر في الخطاب الروائي العربي، ضمن كتاب صورة الأخر العربي ناظرا ومنظورا، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان،1999، ص813.

[2] - ماجدة حمودة، إشكالية الأنا والأخر، سلسية دار المعرفة، عدد مارس، سنة 2013، ص 17.

[3] - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ص40.

[4] - ميجان الرويلي وسعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط4، 2005. ص 23.

[5] - صلاح صالح، سرد الأخر، الأنا والأخر عبر اللغة السر، المركز الثقافيالعربي، بيروت، لبنانّ، ط1، 2003، ص10.

[6] - قناع بلون السماء، ص 23.

هو توريط بالفعل، ليس في انتحال هوية الآخر الشخص الإسرائيليّ فحسب، بل كذلك بعيش شخصيّته تلك. وذلك ليس سهلاً على الفلسطينيّ الذي هُجّر أهله واقتلع من بيته، وصار لاجئا مع عائلته، ومسجلا تحت لافتة الإرهابيين والمخربين.

يجعل الكاتب ببراعة فنية الشاب الفلسطيني نور مكان الشاب "إسرائيلي" الذي فقد هويته وتسانده المصادفة والحظ في عدم اكتشاف أمره. حيث يعثر نور "مهدي الشهدي" الباحث المختص في التاريخ والآثار، على بطاقة هوية زرقاء لشاب إسرائيلي يدعى "أور شابيرا"، بجيب معطف اشتراه من سوق الملابس المستعملة، ومن حسن الصدف أن نور "تعني أورا بالعبرية" وهو أشقر اللون بعينين زرقاوين أخذهما من أمه التي ماتت أثناء ولادته، فإن شكله وطلاقته في الحديث بالعبرية والإنجليزية، جعلا دوره "كإشكنازي" يبدو سهلا ولا يثير الشكوك، يقول السارد: "أخذ يتفقد جيوبه الأخرى كافة، وما إن وضع يده في جيبه الداخلي الواقع قبالة القلب حتى التقطت أصابعه شيئا، فأخرجه بلهفة وفضول، فإذا هي بطاقة هوية صهيونية زرقاء اللون من غير سوء، غفل عنها صاحب المعطف إثر بيعه في سوق الخردوات، توقف عن السير ملتفتا حوله بحذر نتج عن غريزة أصله العربي اللاجئ، رغم ملامحه الواقية من شمس تل أبيب الصهيونية الحارقة....هاله الاسم العبري الذي يعني بالعبرية نور مثل اسمه تماما، علت وجهه ابتسامة خفيفة أثناء تأمله للهوية، ثم خبأها في جيب معطفه الداخلي الواقع قبالة القلب تماما "[1]

للاسم مناعة يا مراد وللقناع حصانة... وأنا عثرت على قناع واسم لأتسلل من خلالهما إلى أعماق العالم الكولونياني.... شابيرا أور شابيرا..... إذ أشعر بتجولي في شوارع وميادين تل أبيب والقدس الغربية أن ملامحي الأشكنازية المكللة بهذا الاسم.... أشعر بأنني بطل خارق متنكر بزي معين لكي يخفي ملامحه الحقيقية مثل باتمان.... أما أنا، فأنا أور شابيرا مان، بلى لكنني لا أشعر بأنني خارق أو بطل.... أشعر فقط بالملاحقة بالخوف.... بالضعف.... بالالتباس.... بالتناقض.... كل هذا هو ما يجعلني أعتقد للحظة بمعجزة ما قد تخلصني من كل ما أنا فيه من عجز، معجزة تقودني إلى الإيمان بقوة خارقة تجعلني بطل أحلامي أنا ولا أحد سواي"[2].

قام نور بتزوير بطاقة الهوية الشخصية لأور شابيرا التي عثر عليها بمساعدة من الشيخ مرسي الذي أفضى له نور بحقيقة البطاقة التي عثر عليها بعد عامين، طالبا منه العون في تزويرها عبر استبدال صورة أور بصورته، واثقا نور في الشيخ مرسي ابن القدس وأعماقها وأسرارها

[1] - قناع بلون السماء، ص 43.

[2] - قنع بلون السماء، ص 56.

الدفينة، لكن سرعان ما دب شعور الخوف والقلق اضطراب هوية نور الملبسة بهويته الجديدة في لحظة ذهل عند تفحص البطاقة والهوية الملتبسة الجديدة " تفحص نور البطاقة متمعنا بصورته الأشكنازية المتقنعة حتى أحس بإحساس غامض مؤلم، شعر أن ثمة شيئا يقضمه، فالقناع لم يعد بالملامح فحسب، بل امتد ليسري في هويته ويمزجها بهوية أخرى، متسائلا في سره حينذاك.

- هل سأرتكب حقا هذه الشخصية الصهيونية الأشكنازية؟ ماذا لو اكتشف هو أمري وعثر علي ملتبسا بظله وهويته في شارع ملعون الأقدار في تل أبيب أو القدس؟[1].

تواصل المونولوج الداخلي المفزع بين أنا نور وآخره الملتبس بأور الذي خلق قلقا وتخوفا من اكتشاف أمره وحقيقة تزويره لهوية الإسرائيلي وسرقة بطاقته الشخصية، ليتخذ من أسلوب الهجوم وسيلة للدفاع عن نفسه واتهام الطرف الآخر يقول باستنكار هجومي بعد أن ينقض عليه.

"- من أنت؟ أنت لست أور..... أنا أور شابيرا.

- يل أنا أور شابيرا وأنت من انتحلت وانتهكت هويتي، من أنت؟...."[2].

وبذكاء شديد يُحرّك خندقجي أبطاله نور ووالده ليروي حكاياتهم داخل رواية نور ورواية صديقه مراد المحكوم بالمؤبد الذي قاوم معاناة السجن وقسوته بقلمه ليتنفس حريته الداخلية يقول: "السجن كثافة يا صديقي نور.... السجن كثافة .... عبارة أطلقها محمود دويش في فضاء زنزانته الأولى أثناء حنينه لقهوة أمه وخبزها.. لم ألتقط أسرار العبارة إلا عندما اشتد عودي في المعتقل"[3]

عبر نور عن معاناته لصديقه في رسائله واصفا أنه في سجن أكبر من سجنه الواقعي يعبر عن ذلك من خلال قوله: "كم أحسدك يا مراد على سجنك الأصغر... لأن واقعك الجديد هذا واضح الملامح مكون من معادلة بسيطة لكنها قاسية، سجن سجين سجان، ولكن هنا في السجن الأكبر أمور لم تعد واضحة"[4].

[1] - قناع بلون السماء، ص 61.

[2] - قناع بلون السماء، ص 62.

[3] - قناع بلون السماء، ص 23.

[4] - قناع بلون السماء، ص 50.

أضحت هذه الشخصيات تتحرّك ضمن سؤال الهوية والمكان، وكيف يمكن للاحتلال أن يُغيّر مصائر وأماكن وهويّات، وكيف يجعل الحياة عبارة عن أسئلة تثير الكوابيس ولا تثير الحلول. ونور بالذات، بعد أن انتحل هوية شابيرا يعيش تحت وطأة أكبر لسؤال الهوية. هل ما زال هو نور الأنا؟ أم أنه صار شابيرا الآخر؟ وعندما يعود إلى غرفته، متخلياً عن هوية شابيرا وقلادة نجمة داود، هل يعود هكذا بسهولة إلى هويته الأصلية؟ ألا تؤرّقه وتتلبسه تلك الشخصية الأخرى، والهوية الأخرى، حتى ولو خلعها عنه؟، حيث "بدأ سؤال الهوية يؤرق الإنسان العربي نتيجة احتكاكه بالآخر، الذي سبقه حضريا، وبدأ يهدد وجوده، حين زحف إلى الشرق مستعمرا، إذ إن المرء لا يدرك أهمية هويته، إلا في لحظة مأزومة، يواجه فيها المختلف، عندئذ يرتد إلى مكوناته الأصيلة، التي تمنحه الإحساس بوجوده، أي بتميزه واختلافه عن الآخر، فيحس بضرورة الحفاظ على هذه المكونات، مهما كانت التحديات، إذ كلما احتدت المواجهة مع الغير، زاد المرء تمسكا بمكونات هوياته وخصوصياتّه"[1]

هذه الأسئلة تظهر كحوارات متفرّقة بين نور وشابيرا كلما استخدم هويته وقناعه. وهذه الحوارات، المتناثرة في أجزاء كثيرة ومتفرقة في الرواية يقول السارد عن نفسه: "أنا أجد متعة هائلة بنجاحي في تمرير شخصيتي شابيرا... هذا الاسم مذهل.. القناع يمنحني اكتفاء تاما... ممارسة هذا الاسم على أرض الواقع الكولونيالي هو انتهاك بحد ذاته للاسم الآخر الذي انتهكني منذ ولدت من رحم الأزقة، أنا لم أنتحل الاسم فقط، بل تخيلته أيضا. امتلكت الجرأة عن التخيل، جرأة الذي ليس لديه شيء ليخسره في عالم الخسران والنكران هذا... حتى ملابسي يا مراد كنت أقتنيها من المتاجر والأسواق الصهيونية.[2]

لولا قناع (الآخر) الذي لبسه نور لما استطاع السير كلاجئ داخل القدس وتنقله بين أرجائها العتيمة يقول محمد الجابري في هذا الصدد:" إنه لولا وجود الآخر لما كان هناك تفكير في المستقبل فنحن إنما نفكر في المستقل لأن شيئا ينافسنا في حاضرنا، يهددنا أو يستهوينا أو يتقدم علينا، وبعبارة أخرى يتحدى هدوءنا وسكينتنا وغفلتنا، من هذا المنظور يمكن القول، إن الحضارات وليدة التحدي الذي يواجهه الشعوب والأمم"[3].

[1] - ماجدة حمودة، إشكالية الأنا والآخر، عالم المعرفة، الكويت، 2013، ص 13.

[2] - قناع بلون السماء، ص 56.

[3] -محمد عابد الجابري، مسألة الهوية، العروبية والإسلام والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة الثقافة القومية، 37، ط2، 2012 ص90.

عمل نور مرشدا سياحيا في القدس والمناطق المجاورة بعد توصية من الشيخ مرسي الذي توسط له للعمل في إحدى الفنادق واقترح عليه العمل بالسياحة ، ساعده على ذلك تمكنه من اللغة العبرية والانجليزية إضافة إلى تخصصه في مجال الآثار التاريخية ومعرفته الأماكن بدقة والمعلومات عنها ، بينما هو يقوم بمهمة الإرشاد في رحلة داخل القدس ومواقعها الأثرية التاريخية يعرض ما تم القيام به باعتبارها مواقع سياحية ساحرة، ممتلئة بمنحوتات وتماثيل مستوحات من أحداث وقصص التوراة، خاصة قصة شيمون ، واصل نور حديثه السياحي والمعالم الصخرية والقصص المعبرة عنها بعدما انسحب عن هويته وأصله الفلسطيني ،فجأة توقف في لحظة سكون وصحوة ذاتية هلعة مما كان يخبر به لتطفح هويته الفلسطينية الملتبسة ويصيح بقوله :" كلا سيداتي وسادتي.... دعوني أستسمح طهر آذانكم، وبراءة قلوبكم، وإخلاص ضمائركم المؤمنة بالخلاص القادم... لأقول لكم إن كل ما تفوهت به منذ قليل ما هو إلا ترهات خزعبلات لا أساس لها من الصحة.. فهنا سيداتي وسادتي حيث تقفون الآن تقع أنقاض وأطلال القرية العربية الفلسطينية صرعة... التي نكبت وهجر أهلها البالغ عددهم أربعمائة نسمة من عام في شهر تموز 1948.... بلى هجروا هم الآن يقبعون لاجئين ولاجئات في مخيمات اللجوء لقد دمرت العصابات الصهيونية القرية[1]، كان خطابه المفاجئ والصاخب الذي ألقاه على السياح بمثابة طابع ختم به نهاية عمله كمرشد سياحي، فالهوية "الخاصة لا تصان إلا بأن يتمسك الشعب بثقافته التي ورثها عن أسلافه، أي في العقيدة وفي اللغة وفي الفن، وفي الأدب وفي كثير من النظم الاجتماعية "[2].

فقد طرد من العمل بعد أن تناقل السياح كلامه وما آثار ذلك في النفوس من تساؤلات عن حقيقة ما صرح به في لحظة، وما أن علم الشيخ مرسي ما قام به حتى طلب منه الاختفاء في حجرته خوفا من اكتشاف حقيقته وهويته المزورة. اتخذ نور من الاسم والهوية المستعرتان ورقته الرابحة التي يرمي بها في أشد الأوقات وخطته البديلة في اللحظات الصعبة باعتبارها ظله الذي لا يفارق هويته على الرغم من مشاعر الحيرة والقلق المستمر من هذه الهوية الغريبة عنه الملتبس بها وهذا القناع المتخفي به عن الحقيقة يقول مرة أخرى: "شعرت مرة واحدة بسبك أنت أنني بعت ظلي الحقيقي لهوية ممزقة فعدوت بلا ظل. كنت في ظل أبي بلا صوت، والآن أصبحت بلا ظل وبلا بعد

[1] - قناع بلون السماء، ص 66.

[2] - إشكالية الأنا والأخر، مرجع سابق، ص 15.

أن زينت ملامحي بهوية وقلادة نجمة داود التي كنت أرتدها عندما أندى الذهاب للمشاركة في ندوة تاريخية بتل أبيل أو الجامعة العبرية"[1].

لم يكتف نور بتزوير هويته بل طلب أيضا من الشيخ مرسي أن يقوم بتزوير سيرته الذاتية التي توثق عمله كمرشد لشركة سياحية، وذلك رغبة في الاستفادة من حضور الندوات التي تنظمها الجامعة العبرية في مجال الآثار التاريخية وسعيا لاكتشاف المزيد من الأسرار حول سيرة المجدولية الذي خاض غمار البحث في موضوعها لكتابة رواية عنها " عاد للتمعن في سيرته المهنية المفبركة التي شعر للحظة أنها أسبغت الشرعية على شخصيته المنتحلة أور شابيرا، وما هي إلا ساعات قليلة تفصله عن ارتداء قناع الالتحاق بالبعثة الأثرية غدا في معهد أولبرات"[2]، أضحت سيرته المهنية المزورة تضفي عليه شرعية إلى جانب هويته الملتبسة بهوية (أور) فالتحق بالبعثة لإتمام مشروعه الروائي عن سيرة المجدولية تنكر بقناع يحميه من بطش العدو الإسرائيلي داخل القدس، "مرر لبريان سيرته الذاتية المعطرة بلغته الإنجليزية المتقنة التي رودها بأكاذيب مثالية حول عمله كدليل سياحي على مدار السنوات الخمس الماضية في كافة أنحاء البلاد، إضافة إلى مشاركته في العديد من البعثات، مؤكدا لبريان أن ما دفعه للمشاركة في هذه البعثة، هو مشروع تخرجه كان عن ثورة (باركوخبا)"[3].

3- آليات الكتابة والأساليب الفنية في رو اية "قناع بلون السماء" لباسم خندجقي

إن الاتساع في الرؤية واكتساب تقنيات الكتابة المبدعة أهّل الكتاب للخروج من تيمة السيرة الذاتية التي كثيراً ما «سَجَنت» في دوائرها الضيقة الكتاب المعتقلين وأدب السجون. كما أنه على الرغم من أن الرواية يمكن تصنيفها ضمن «أدب السجون» إلا أنها انزاحت عن المتعارف عليه إنها توظف السيرة الذاتية للكاتب بشكل كلي إلى توظيف وسائل فنية أخرى أضفت على العمل الأدبي جمالية خاصة، وتراسل بين الفنون الأدبية المتعددة باعتماد فن المراسلات وتحويلها إلى «مذكرات» تتميز في الغالب بالسرية والعلاقات العاطفية ، لكنها تحولت في الرواية بين نور وصديقه إلى مناوشات وسجالات فكرية وثقافية تهم قضايا المجتمع الفلسطيني المحتل من قبل الغاصب الصهيوني الذي ما انفك يستحوذ في كل مرة بجبروته وظلمه على الأرض المقدسة ويوسع انتشاره وسيطرته ويضطهد الفلسطينيين في ممتلكاتهم وأرضهم ويحتجز حرتهم بالاعتقالات

[1] - قناع بلون السماء، ص 70.
[2] قناع بلون السماء، ص 91.
[3] - قناع بلون السماء، ص 100.

المتعددة، "عشرات الإصابات في صفوف المقدسين المحتجين على اقتحام المسجد الأقصى المبارك...تصاعد حدة العنف والإخلال بالأمن العام في أورشليم من قبل عشرات مثيري الشغب.... هكذا يصبح المقدسي المحتج على تدنيس حرمه ركنه المقدس مثيرا للشغب ومخربا وحي الشيخ جراح يتقلب إلى حي شمعون"[1].

اعتمد الكاتب من خلال روايته تقنيات متعددة من أبرزها نذكر اعتماد الراوي المشارك في الأحداث من خلال إقحام شخصيته المركزية نور بكتابة رواية عن مريم المجدولية والمغامرة الصعبة للبحث عن المعلومات التاريخية والوثائق التي تعرف عليها في المعهد التاريخي الأثري. وظف كذلك ببراعة المنولوج الداخلي الذي حضر في أغلب صفحات الرواية من خلال منولوج نور مع ذاته وهويته المزورة بأور الإسرائيلي مما جعله يدخل في صراع داخلي ملتبس بهوية المنتحلة" يقول: الآن، أصبحت تعترف بوجودي.. بعد أن تسللت إلى داخلك؟"[2].

اعتمد كذلك على تقنية التسجيلات الصوتية في محاولة كتابة نور مشروعه الروائي، ووظف الرسائل الكتابية التي كانت بين نور وصديقه مراد يتبادلان فيها الأخبار الشخصية لهما والأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية للشعب الفلسطيني، هذه الرسائل تعكس أفكارا متعددة تتعلق بالحياة اليومية وبمشاعر نور المتناقضة وآماله ومخاوفه، وكذلك عن الاحتلال والكولونيالية، التي يجهز صديقه مراد بحثه عنها وهو في السجن، وعن الحرية والهوية والمقاومة.

خاتمة:

وفق الكاتب باسم خندجقي بطرحه قضية الاحتلال الإسرائيلي للفلسطينيين وإبرازها من خلالِ سرد قضية الإنسان المعذّب عامة في أي أرضٍ كان وبأيّ زمان. القناعُ الذي تقنّع به نور كان لإبراز حقيقة الكيان الصهيوني من الداخل، أي من داخل بنيته ومعتقده وسياسته، هذه الرواية غاصت في متاهات عميقة وكسرت حواجز متعددة وامتازت بكتابتها الفنّية الممتعة، التي نسجت بين الواقعية والخيال نصا سلسا يبرز طبيعة النظام الصهيوني من الداخل ومظاهر الاحتلال ومصادرة المكان واحتلاله وممارسة كل أشكال الاضطهاد والعدوان.

[1] - قناع بلون السماء، ص 96.

[2] - قناع بلون السماء، ص 133.

لائحة المصادر والمراجع

المصادر

- باسم خندجقي، قناع بلون السماء، دار الآداب، ط1، 2003.

المراجع

- بول ريكور: الهوية والسرد: تر حاتم الورفلى، دار التنوير، بيروت، لبنان، 2009.
- مونيكا فلودرنك، مدخل إلى عالم السرد، تر باسم صالح حميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2012.
- صلاح صالح، سرد الآخر، (الأنا والآخر عبر اللغة السردية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، المغرب، 2003.
- فتحي أبو عينين، صورة الذات وصورة الآخر في الخطاب الروائي العربي، ضمن كتاب صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان،1999.
- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982.
- ميجان الرويلي وسعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط4، 2005.
- محمد عابد الجابري، مسألة الهوية، العروبية والإسلام والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة الثقافة القومية،37، ط2، 2012.